الفصل الأول

حياته ومصنفاته

١ ـ اسم المؤلف ونسبه:

ذكر الشوكاني نسبه، فقال: «السيد الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح بن أحمد بن الهادي بن جلال بن صلاح بن محمد بن الحسن بن المهدي ابن علي بن المحسن بن يحيى بن يحيى الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن المختار لدين الله القاسم بن الناصر بن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، المعروف والشهير بالجلال العلامة الكبير»[(١)].

وذكر زيارة نسبه بشيء من الخلاف اليسير في الجدود مع الشوكاني، فقال وهو يترجم لولده محمد: «الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح بن أحمد بن هادي بن الجلال بن صلاح بن محمد بن الحسن بن أحمد بن المهدي ابن علي بن المحسن بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن عبد الله بن الإمام المنتصر محمد بن القاسم المختار بن الناصر بن أحمد بن الهادي إلي الحق يحيى ابن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الجلال الحسيني اليمني»[(٢)].

فالجلال إذًا ينتسب إلى الإمام المشهور الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن الحسين الحسني الطالبي الرسي (ت٢٩٨هـ/ ٩١١م)، مؤسس مذهب الدولة الزيدية الأولى في اليمن.

---

(١) «البدر الطالع» (١/ ١٣٤)، وقد ورد هذا النسب نفسه في «التاج المكلل» (ص٣٧١)، كما قاله خليل المنصور واضع حواشي «البدر الطالع».

(٢) «نشر العرف» (٣/ ٧٩).

٢ ـ ولادته:

وُلد الجلال في هجرة (رُغَافَة) إحدى هجر[١] من ناحية (جُماعة) من أعمال صعدة شمال صنعاء على بعد (٩) فراسخ من صعدة، وهي التي تقع إلى يسار الطريق الممتد من صعدة إلى باقم فظهران فنجران[٢]، وفي هذه القرية كان مولد الجلال في شهر رجب عام (١٠١٤)[٣]، ورغافة لما كانت هجرة علم، فقد ظهر فيها عدد من العلماء من أبناء رغافة أشهرهم أحمد بن حمد بن أحمد الشهير بـ (تاج الدين) (٦٤٤هـ)، والحسين بن محمد بن أحمد بن يحيى (٥٨٢هـ ـ ٦٦٢هـ)، والجلال بن صلاح الدين بن محمد (٧١٠هـ ـ ٧٨٤هـ)، وغيرهم من علماء رغافة[٤].

٣ ـ نشأته:

لم يَحْظَ الجلال بكفالة أبويه والتربية على أيديهما طوال صباه؛ فقد توفي أبوه مبكرًا، ثم تبعته أمه السيدة آمنة بنت السيد الإمام أحمد بن يحيى بن القاسم، وكان الإمام محمد بن القاسم ـ المؤيد بالله ـ يراسلها إلى رغافة، ويستمد دعوتها، بينما كان أبوه معروفًا بالتفقه والفضل[٥]، وقد توفيت أمه وهو يافع، فانتقل إلى منطقة صعدة، وصعدة مخلاف بينه وبين صنعاء ستون

---

(١) هجر: يطلق عند أهل اليمن على تسمية القرية التي يهاجر إليها من رغب عن سكن المدن، (هجرة) إضافة إلى اسمها العلم؛ ليجعلها دار إقامة له، ويتخذ منها مكانًا لنشر العلم، ينظر: «هجر العلم» (١/ ٥).

(٢) ينظر: «معجم البلدان» للحموي (٣/ ٥٣) دار الفكر

(٣) ينظر: «الحسن بن أحمد الجلال» (دراسة ونصوص محققة).

(٤) ينظر: «هجر العلم» (٢/ ٨٩٢).

(٥) ينظر: «الحسن بن أحمد الجلال» (ص٢١)

OBEIKAN.COM

فرسخًا، وكان التجار يقصدونه من كل مكان لاشتهاره بمدابغ الأدم وجلود البقر، وقد جاء الجلال لهذه المنطقة للتتلمذ على علمائها الذين كان أبرزهم الشيخ القاضي الحسن بن جاس (الصعدي) (١٠٧٩هـ)[١].

٤ ـ حياته العلمية:

(أ) طلبه للعلم:

بدأ الجلال حياته العلمية في قريته (رغافة) التي كان فيها مسقط رأسه كما ذكرنا، حيث أخذ فيها بعض مبادئ العلم، ولما ماتت أمه انتقل إلى صعدة، ثم انتقل إلى شهارة، وقد كان وصول الجلال إلى شهارة للطلب والتتلمذ في أول دولة الإمام المؤيد، أي أنه كان وقتئذٍ في سن (١٦) أو (١٧) من عمره، وهو لاشك سن يرقى فيه الطالب النابه إلى مرحلة أو درجة في الطلب، يدرس فيها علومًا يتجاوز فيها المتون الصغيرة بعد قراءة القرآن الكريم أو حفظه، بعضه أو كله، إلى علوم اللغة بأنواعها والفقه وأصوله، وغيرها من العلوم[٢].

أبرز شيوخ الجلال:

١ ـ لطف الله بن محمد الغياث الظفيري (ت١٠٣٥هـ)، وقد لازمه الجلال قرابة أربع سنوات في شهارة، حتى قام هذا الشيخ بزيارة مسقط رأسه (ظفير حجة)، فأدركته المنية هنالك فجأة[٣]، في أوائل سنة (١٠٣٥هـ)، وكان هذا الشيخ علامة زمانه استفاد علمًا غزيرًا خلال رحلاته إلى مكة واختلاطه بعلماء العرب والمسلمين، يقول الشوكاني: «لم يكن باليمن إذ ذاك من يبلغ في تحقيق

---

(١) ينظر: «البدر الطالع» (٢/ ٢٦٧)، و«الحسن بن أحمد الجلال» (ص٢٤).

(٢) ينظر: «الحسن بن أحمد الجلال» (ص٢٤).

(٣) ينظر: «الحسن بن أحمد الجلال» (ص٢٥).

OBEIKAN.COM

علم المعاني والبيان والأصول والنحو والصرف إلى درجته، فضلاً عن أن يكون شيخًا له، وقد تبحر في جميع المعارف العلمية، وصنف التصانيف»[١].

٢ـ الحسين بن الإمام بن محمد (ت١٠٥٠هـ)، وكان يكبر الجلال بخمسة عشر عامًا، وكان الحسين أعلم أولاد الإمام القاسم بن محمد العشرة، وقد لازمه الجلال فترة بشهارة، وكما كان الحسين فقيهًا بالشرع كذلك كان خبيرًا في الحرب والسياسة، يقول الشوكاني: «ولم يكن الآن في كتب الأصول من مؤلفات أهل اليمن مثله، ومع هذا فهو ألفه وهو يقود الجيوش، ويحاصر الأتراك في كل موطن»[٢].

وقد استمر الجلال في التتلمذ على كبار علماء شهارة نحواً من ثماني سنوات، ثم ارتحل إلى صنعاء عقب خروج حيدر باشا عنها سنة (١٠٣٨هـ)، وفي صنعاء ولسنوات طويلة[٣]، أخذ عن أكابر علمائها وما حولها من الجهات، ومن جملة مشائخه القاضي عبد الرحمن الحيمي، وسائر أعيان القرن الحادي عشر[٤].

٣ـ محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي (ت١٠٤٩)، وقيل (ت١٠٥٠)[٥]، لقد أثمر تتلمذ الجلال على شيخه المؤيدي بمصاهرة التلميذ لشيخه فتزوج ابنته[٦]، يقول الشوكاني عن المؤيدي: «هو شيخ مشايخ الفروع الذي ينتهي أسانيدهم إليه، ومن جملة تلامذته العلامة الحسن بن أحمد الجلال»[٧].

---

(١) ينظر: «البدر الطالع» (٢/ ١٢).
(٢) ينظر: «البدر الطالع» (١/ ١٥٥).
(٣) ينظر: «الحسن بن أحمد الجلال» (ص٢٧).
(٤) ينظر: «البدر الطالع» (١/ ١٣٤).
(٥) ينظر: «البدر الطالع» (٢/ ١٠٠).
(٦) ينظر: «البدر الطالع» (١/ ٢٣٧).
(٧) ينظر: «نشر العرف» لزبارة (٣/ ٨٣).

٤ ـ عبد الرحمن بن محمد نهشل الحيمي (ت١٠٦٨هـ)، وكان من العلماء الذين جمعوا بين علم المعقول والمنقول، ومن أشهر علماء صنعاء ومشايخها انشغالاً بالتدريس لأمهات الحديث، وكان من جملة تلامذته العلامة الحسن بن أحمد الجلال وجماعة أكابر»[١].

٥ ـ الحسن بن يحيى الصعدي (ت١٠٧٩هـ)[٢]، تولى القضاء بمدينة صعدة، ثم انتقل إلى صنعاء، وكان الإمام اسماعيل يستخدمه في بعض أعماله.

تلاميذ الجلال:

لم توافنا تراجم الحسن بن أحمد الجلال عمن تتلمذ على يديه مع أن سيرته تحكي أنه استفاد من علمه خلق كثير، ولعل السبب يرجع إلى عدم استقراره بمكان واحد، يعلم به طلاب العلم فيأتون إليه، فذهابه من شهارة إلى صنعاء، ومن ثم إلى الجراف هو أحد الأسباب لعدم الأخذ والتتلمذ على يديه، أضف إلى ذلك ما اتصف به من الحب والميل للعزلة والتأمل، وحب الخلوة والتعبد.

فجل من أخذ عنه ولده محمد بن الحسن الجلال (١٠٤٢هـ ـ ١١٠٤هـ)[٣]، فقد اشتهر باشتغاله بطلب العلم عن والده؛ فقرأ عليه النحو والبيان والتفسير ومؤلَّفه (ضوء النهار على شرح الأزهار) وغيرها، وكذلك الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرفي (ت ١١١هـ)، وقد أصبح من العلماء البارزين في عصره، فهو صاحب كتاب (المواهب القدسية شرح البوسية)، وقد نقل في هذا

---

(١) ينظر: «البدر الطالع» (٢/ ٩٩).

(٢) ينظر: «البدر الطالع» (١/ ٢٣٧)، و«نشر العرف» (٣/ ٨٣).

(٣) ينظر: «البدر الطالع» (٢/ ٢٤٧)، «نشر العرف» (٣/ ٧٩)، «هجر العلم» (١/ ٣٥٥)

الكتاب عدة مباحث من كتاب شيخه (ضوء النهار)، ويصفه شيخه في العلم[١]، وكذلك صالح بن مهدي المقبلي (١٠٤٧هـ ـ ١١٠٨هـ) حيث كان ممن واصلوا رسالته وحملوا علمه[٢].

أسرته:

لقد كان للجلال أولاد نشأوا على منوال والدهم في النجابة والعلم، فأكبرهم محمد، ثم عبد الله، ثم أحمد، ثم إسماعيل، ثم الحارث، فأما أحمد وإسماعيل فتوفيا قبل وفاته، ولم يعقب إسماعيل، وأما أحمد فأعقب ولدين، وكان للجلال ابنة تدعى فاطمة، وكانت بمحل من الفكر والتقوى، قرأت على والدها في علوم الشريعة[٣].

(أ) وقد اشتهر محمد بن الحسن الجلال (١٠٤٢هـ ـ ١١٠٤هـ) باشتغاله بطلب العلم عن والده، فقرأ عليه في النحو والصرف والبيان والتفسير، ومؤلَّفه (ضوء النهار على شرح الأزهار) وغيرها، ووضع والده باسمه مؤلفات لحاشيته على الكشاف، وقد تتلمذ على يد محمد السيد عثمان بن علي الوزير، والسيد الإمام يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل والقاضي عبد الله بن يحيى الرسي، وغيرهم.

وكان محمد واعظًا لا يسمعه أحد إلا تأثر من وعظه فبكى، وله من التصانيف كتاب (تثبيت الأقدام في فتنة أهل الإسلام والنهي عن التوغل في علم الكلام)[٤].

---

(١) ينظر: «البدر الطالع» (١/ ١٥٨).

(٢) «الحسن بن أحمد الجلال» (ص٣٩).

(٣) ينظر: «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٨٨)، مؤسسة الإمام زيد ـ عمان.

(٤) ينظر: «نشر العرف» (٣/ ٧٩)، «هجر العلم ومعاقله» (١/ ٣٥٥)، «ملحق البدر الطالع» (٢/ ٣٤٧).

(ب) الفضيل بن محمد بن الحسن الجلال (ت ١٠٩٩هـ)[١]: حفيد المترجم له، قرأ العلوم وشفا بتحصيلها الكلوم، وشرح بعض كتب جده واخترمته المنية وهو غض الشباب، وكان في الأدب مع علمه وورعه راسخ القدم منشور العلم.

(جـ) ومن أسرته أخوه الهادي بن أحمد الجلال (ت ١٠٧٩هـ)[٢].

وقد كان على درجة من العلم، ولكنه لم يصل إلى مرتبة أخيه، وكذلك لم ينزع منزعه في الاجتهاد، وقد عبر عن هذا الفارق أخوه الحسن حين قال لأحد تلاميذه ذات مرة: «يا ولدي أنا حذوت حذو محمد بن إبراهيم الوزير فعاداني أهل الوقت، وأخي الهادي حذا حذو الهادي بن إبراهيم، فأخذ عنهم وأخذوا عنه».

جوانب من زهده وورعه:

يقول العلامة إبراهيم حطبة: «سرت إلى الجراف لزيارة السيد العلامة الحسن ابن أحمد الجلال في عيد، فرأيته معتمًا يسيرًا من القطن خشنة من حياكة صنعاء، يسمونها ريزة ـ بكسر الراء وسكون الياء ـ، قال: فقلت: إن هذه ليست مما يليق بك، فقال: واعجبك إن هذه كان جدي يتجمل بها للعيد، ثم تبعه في ذلك والدي، وهي باقية معي أتجمل بها للعيد، كأنه يبغض إليه الدنيا، ويحثه على الزهد فيها، وكان المتوكل إسماعيل يعظمه غاية التعظيم، ويرى له الحق الأكيد ويتوقى اعتراضاته[٣].

---

(١) ينظر: «نشر العرف» (٣/ ٨٣)، «هجر العلم» (١/ ٣٥٥).

(٢) ينظر: «طبقات الزيدية» (٢/ ١١٩)، «البدر الطالع» (٢/ ٣١٧).

(٣) ينظر: «نشر العرف» (٣/ ٨٥).

وحين زاره المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم المعروف بسيل الليل إلى بيته في الجراف، فلم يتمكن من الصعود إلى أعلاه، إلا بمشقة لضيق الدرج، فلما أخذ مكانه من المجلس كتب للجلال حوالة بمبلغ من المال، يستعين به في بناء دار متسعة وسلمها له، فلما اطلع عليها، والإمام ما يزال عنده كتب على ظهر الحوالة، قول الشاعر:

يقولون: بيتك ذا ضيق ... فهل نسجته لك العنكبوت

فقلت: المقام بهذا قليل ... وهذا كثير على من يموت

وأعاد الحوالة إلى الإمام المهدي معتذرًا عن قبولها[1].

ثناء العلماء على الجلال:

١ ـ يقول العلامة صالح بن المهدي المقبلي (١٠٤٧هـ ـ ١١٠٨هـ): «ولما أراد شيخي العلامة محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ الحج، وأنا إذ ذاك أقرأ عليه (مختصر المنتهى) لابن الحاجب، سألته من يفي لي بهذا الكتاب وشرحه أقرأ عليه أيام حجك؟ . . فقال: ما أعلم إلا السيد الحسن الجلال لكنه كثير الاعتراض[2].

٢ ـ ويقول الإمام الشوكاني (ت١١٧٣هـ ـ ١٢٥٠هـ): «وبرع في جميع العلوم العقلية والنقلية وصنف التصانيف الجليلة، فمنها: (ضوء النهار)، جعله شرحًا للأزهار للإمام المهدي، وحرر اجتهاداته على مقتضى الدليل ولم يعبأ بمن يوافقه من العلماء أو خالفه، وهو شرح لم تشرح الأزهار بمثله، بل لا نظير له في الكتب المدونة في الفقه»[3].

---

(١) ينظر: «هجر العلم» (١/ ٣٤٥).

(٢) ينظر: «نشر العرف» (٣/ ٨٣-٨٥).

(٣) ينظر: «نشر العرف» (٣/ ٨٣-٨٥).

٣ ـ ويقول السيد العلامة إبراهيم بن القاسم بن الإمام ـ المؤيد بالله ـ (ت ١١٥٢هـ): «كان عالمًا متبحرًا منطقيًا أصوليًا محققًا جدليًا لا يجارى، له أنظار ثاقبة ومسائل معروفة متناقلة وطلاوة عبارته ورشاقة مقالته، مما لم يسبق إليه، وكان مبرزًا في الفنون على أنواعها»[(١)].

ونقل صاحب (نشر العرف) عن الدمشقي في خلاصة الأثر، قوله: «الإمام العلامة الذي بهر بتحقيقه واعترف الفضلاء بتدقيقه، له المؤلفات الشهيرة، واختار اختيارات مخالفة لعلماء الأصول، وهو من أفراد اليمن وفور فضل وأدب وكثرة تأليف وتصنيف»، ويقول السيد إبراهيم الحوثي الحسيني في (نفحات العنبر): المجلي حلبة العلوم والفضائل والأخير الذي أتى بما لم تستطعه الأوائل برز في جميع العلوم العقلية والنقلية، وحقق جميع الفنون الأصلية والفرعية والآلية، واجتهد ونظر وأنصف وترقى في مدارج السالكين إلى رب العالمين، حتى وصل إلى درجة الواصلين، وأشرقت إليه الأنوار وانفتحت له أبواب الأسرار، وكان ذا همة عالية ونفس أبيه وذكاء متوقد، وألمعية، وفطانة، وسمات نبوية، وأخلاق مصطفوية، وشمائل علوية، واختط لنفسه هجرة الجراف واستمر بها عامة عمره، معتزلاً للناس، وصنف مصنفات نفيسة[(٢)].

٤ ـ ويقول القاضي إسماعيل بن الأكوع: «الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح بن الهادي الجلال: عالم مبرز في كثير من العلوم العقلية والنقلية مجتهد، شاعر، أديب»[(٣)].

---

(١) ينظر: «طبقات الزيدية» (١/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٢) ينظر: «العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ» للمقبلي (ص٢٤) دار البيان ـ دمشق.

(٣) ينظر: «هجر العلم» (١/ ٢٤٢).

٥ ـ ويقول عبد السلام الوجيه: «أحد العلماء الأعلام، عالم مجتهد، زيدي محقق في العلوم الشرعية، متأثر بأهل الحديث من غير أهل البيت، برع في جميع الفنون، وصنف التصانيف الجليلة الشهيرة، وكان له مع علماء عصره مجادلات واختلافات فقهية، وفكرية، وتأثير على أئمة عصره الحكام، والأحداث السياسية، عكف على التأليف والتدريس ونشر العلم»[١].

وفاته:

توفي الجلال على الصحيح في الجراف في وقت السحر من ليلة الأحد، لثمان بقين من ربيع الآخر عام (١٠٨٤هـ)، ودُفن في مكان معروف بين الجراف والروضة في الشرق الجنوبي من ربوة رسلان[٢].

* وقد أرَّخ وفاته إبراهيم بن صالح بن الهندي، بقوله[٣]:

هذا ضريح ليس يخبو نوره ... قد جلَّ زائره وجلَّ مزوره
حاز المهابة والجلال وطيَّه ... روض من الخلق الكريم زهوره
وإمام علم الاجتهاد ومن له ... شرف تقلد بالنجوم نحوره
الفاضل المنطيق كم من مشكل ... بضياء فكرته امَّحى ديجوره
قد فاق سعد الدين تحقيقًا ومن ... حسنت به أعوامه وشهوره
أو ما ترى ولك البقاء تاريخه ... العلم في جدث الجلال بحوره

١٧١/٥٩٧ / ٩٥ / ٢٢١
١٠٨٤هـ

* وقد مدحه إسماعيل بن صلاح الأمير والد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني بقوله[٤]:

---

(١) ينظر: «أعلام المؤلفين الزيدية» (ص٢٩٩)، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ـ الأردن ـ عمان.
(٢) ينظر: «البدر الطالع» (١/ ١٣٥)، «هجر العلم» (١/ ٣٤٥-٣٤٦)، «أعلام المؤلفين» (ص٣٩٩).
(٣) ينظر: «هجر العلم» (١/ ٣٤٧).
(٤) ينظر: «هجر العلم» (١/ ٣٤٨)، مقدمة «ضوء النهار» (١/ ١٤).

OBEIKAN.COM

لله در الجلال من علم ... يجري صواب العلوم من قلمه
كأنه في جميعها ملك[1] ... ممكن والفنون من خدمه
قد حل في كل مشكآلة ... محل شمس الوجود من ظلمه
وأحرز العلم فهو مشتمل ... عليه من قرنه إلى قدمه

وأما السيد الإمام المجتهد محمد بن إسماعيل الأمير، فقد زار قبره في أحد الأيام، فقال: لما وقفت على ضريح السيد العلامة إمام العقل والنقل الحسن بن أحمد الجلال ـ رحمه الله ـ، تذكرت محاسنه التي لا تبلى وفوزه في القدح المعلي، وامتلأت العيون بالعبرات، وسمحت القريحة بهذه الأبيات[1]:

جادت على قبر الجلال ... عيني بدمع ذي انهمال
ووقفت فيه مدلهًا ... أبكي على فقد المعال
جبل من التحقيق غيبه ... الفنا تحت الرمال

إلى أن قال:

وشهوده في كتبه ... إن كنت تنصف في المقال
فاطعم ثمار علومه ... واشرب من العذب الزلال
وعلى ضريح قد حواه ... تحية من ذي الجلال

نماذج من شعره:

لم يكن الجلال مؤلفًا وعالمًا في أصول الشريعة وفروعها، ولم يكن ملمًا بالمنطق وعلوم الآلة فحسب، بل كان شاعرًا مجيدًا للشعر، في أغلب أغراضه، ومن يقرأ ما كتبه الجلال وسطره من شعر يتضح له أن السيد الجلال كان صاحب موهبة شعرية، برع فيها ولم ينتهج أسلوبًا في كلامه وإنما كان يقوله عن

(١) ينظر: «نشر العرف» (٣/ ٩٦)، «هجر العلم» (١/ ٣٤٦-٣٤٧)

الطلب، وكأني بابن دقيق العيد يقول: «رأيت رجلاً سائر العلوم بين عينيه، يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء»[١]، فهذه المقولة وإن كانت في شيخ الإسلام ابن تيمية، إلا أن بين الرجلين تشابهًا في كثير من الصفات، وهاكم بعض ما قاله من شعر، يقول:

وشادن[٢] يغرق أهل الهوى ... في حسنه فابك على وارده

من لاح في الخد أخو أمه[٣] ... عاينت تصحيف أخي والده

ومن شعره في عزله:

من عزه زمن الشبيبة والصبا ... وصفاء عيش رونق وسرور

فلقد تمسك فوق موج هائل ... حمقًا بأوهى عروة لغرور

إني عرفت من الزمان وأهله ... ما زادني جلدًا على المقدور

وعلمت أن ليس النجاة لغير من ... ينجو بعزلته عن المحذور

ما في مخالطة الأنام لعاقل ... إلا هوان واكتساب وزور

ومن أدبه الجميل قصيدته (فيض الشعاع الكاشف لقناع الابتداع):

العلم علم محمد وصحابه ... يا هائمًا بقياسه وكتابه

ولآله منه الخلاصة كلها ... إرثًا تنوسخ عن هدى أصلابه

وقضوا بمحكم كل آي كتابهم ... فجنوا به الإيمان بالمتشابه

إلى أن ختم بقوله:

يا راكبًا يهوى لقبر محمد ... عرج به متمسحًا بترابه

واقر السلام عليه من حب به ... يبلغ إليه القدس في محرابه

---

(١) «ديوان شيخ الإسلام» (ص١١)، دار الجيل بيروت.

(٢) **الشادن**: الغزال ويريد جميلاً.

(٣) **اخو امه**: يقصد به أن على خده شامة سوداء، وتسمى أحيانًا: الخال.

OBEIKAN.COM

وقل ابنك الحسن الجلال مجانب ... من قد غلا في الدين من تلعابه
لا عاجزًا عن مثل أقوال الورى ... أو هائبًا في علمهم لصعابه
لولا محبة قدوتي لمحمد ... زاحمت أساطاليس في أبوابه
لكنني أولى الورى بمقامه ... فأنا ابنه وأسير في أعقابه[1].

وله مضمنًا مع حسن التصرف:

رفعت عمامتي فرات ... براسي شيبًا اشتعلا
فعادت بعد تنكري ... فقلت لها أنا ابن جلا[2]

ومن شعره يرد على من اتهمه بالحدة مع منزلته الرفيعة بالعلم:

قالوا: بلغت من العلوم مبالغا ... قصرت خطى العلماء عن إدراكها
لو كان فيك سلامة من حدة ... عين الكمال رمتك من أشراكها
فأجبتهم موسى أحد وقد سما ... فوق السماء وعد من أملاكها
ويحدة النار استفاض النور في ... كل الدنا وعلت على أفلاكها
أما وقار المرء فهو سكوته ... في الحادثات تأنيًا بفكاكها
ما إن تنافيه ذلاقة منطق ... يأتي بدر القول في أسلاكها
والعي يحسبه وقارًا جاهل ... سُبل العلى ما كان من سُلاكها

---

(١) ينظر: كتاب الجلال «فيض الشعاع» (ص٦٠) طبع القاهرة على نفقة بعض علماء آل رسول الله ﷺ (١٣٢٨هـ)، لصاحبها محمد منير الدمشقي. وكتاب «الحسن الجلال: دراسة ونصوص محققة»، د. حسين العمري، دار الفكر - بيروت، وقد شرح القصيدة شرحًا علميًا وأدبيًا، كما قال: «ولما كان النظم لا يفي بالتفصيل والحاجة ماسة إلى توضيح السبل أخذت في شرح المهم من معاني الأبيات بقدر احتياج المنصف لا بقدر الاحتجاج على المتعسف»، وتتكون القصيدة من (٤٧) بيتًا.

(٢) «البدر الطالع» (١/ ١٣٥) ترجمة الجلال، مقدمة «ضوء النهار» (١/ ١١).

OBEIKAN.COM

وله قصيدة يتحدث فيها أن رضا الناس غاية لا تدرك، ولذلك فقد صبر على اللأواء وضيق الحال، والعزوف عن مجالس اللهو، فعف نفسه ورضي بالقضاء والقدر صابراً على المحن فعاش سعيداً على الرغم مما نزل به من الخطوب، يقول:

رضاء الناس من طلب المحال ... وصبر المرء خير في المآل
وشكواك الزمان إلى لئيم ... كرمي بالسهام بلا نصال
ومن جعل العفاف له سبيلاً ... ينل فيه الغنى من غير مال
ومن سخط القضاء يعش كئيبًا ... قليل الوفر ممقوت الفعال
رضيت عن القضاء فزال همي ... على سعة لديَّ وضيق حال
وحسبي إن بلوت الناس طرًا ... وما رست الخطوب فلا ابالي[1]

وقد ختم هذه القصيدة بقوله:

وإياك الوقوف بدار ذل ... وأرض الله واسعة المجال
وكسبك للحلال فلا تدعه ... ولا تكسب معاشًا من سؤال

وتتكون هذه القصيدة الرائعة من (٢٤) بيتًا:

ومن شعره في الغزل:

أنا للعشق إمام ... غير أني ذو صبابة
أرشف الريق واهوى ... كل مجدول الذؤابة[2]

وله قصيدة يدعو فيها إلى ترك الوساوس والهموم وجعل الهم همًا واحدًا، وهو لقاء الله تعالى، يقول فيها:

---

(١) «هجر العلم ومعاقله» (١/ ٣٤٨).

(٢) «هجر العلم» (١/ ٣٤٩)، ولعل المرء يتساءل هل هذا مجون، أم ضرب من هيام الصوفية؟!.

خل الوساوس والهموم بمعزل ... وكل الأمور إلى المليك المفضل
أو ما كفى لك عبرة ما قد مضى ... من كشفه لك كل كرب معضل
في الحال والماضي عرفت جميله ... وهو الكفيل بذاك في المستقبل
فدع الهموم تكون همًا واحداً ... همّ اللقاء له لكي ما تنسلي[1]

ومن شعره الرصين خريدته[2] البديعة في علم البديع التي جاءت في مدح النبي ﷺ، وحوى فيها ما في (تلخيص المفتاح في علم البديع) حيث أوضح ذلك في خطبته البديعة المذكورة، والمسماة أيضًا بـ (سحر الحلال شعر الحسن الجلال)، قال: «فإني لما رأيت الأدب قد عفر خده، وعثر جده، ونثر حده، وخلت منه هذه الأعصار حتى نسي في الناس اسمه، ومحي في محاورتهم رسمه، وأصبحوا يرون أن صاحبه قد صار موزوراً، وإنه ليقول منكراً من القول وزوراً، وكنت جرعت من الأيام علقمًا وصابًا، أصبت منها وأهلها أفراحًا وأوصابًا، ابتدرت إلى نظم قصيدة جامعة لما عرفته في (تلخيص المفتاح في علم البديع)، وزدت عليها من بقية ما ذكره أهل البديع، ما استحسنته».

وقد استهلها بقوله في براعة المطلع والتي بدأها بالترصيع على عادة الشعراء القدماء:

ماذا على الركب ممن[3] ذاع للآسي ... بعد الطبيب الذي في طيبه الآسي

وبعده في المذيل والمقلوب:

فالقلب بالبين حام حامل أسفا ... ناح عن الصبر جان طول إبلاسي

---

(١) ينظر: «نشر العرف» (٣/ ٩٥).

(٢) الخريدة: اللؤلؤة لم تثقب، ينظر: «القاموس المحيط» (ص٣٥٧) مادة (خرد).

(٣) ينظر: ورد في «نشر العرف» مما (٣/ ٨٧).

وقال في طباق الإيجاب:

يدني الوصال فإن الروح قد ذهبت ... من الفراق وجف الدمع من راسي

وبعده طباق السلب:

سلوت صبري ولم أسل العهود ولم ... أقف لعذل وقوف المعرض الناسي

وقال في المقابلة:

إن أعرضوا عن قلى عزًا بهم وغنى ... قابلت بالود في ذل وإفلاس

وقال في الموازنة:

من شكره غنية من كل إفلاس ... وذكره حلية من كل كراسي

وقال في اللف والنشر:

يشفي ويطفي وينفي إذ أفوه به ... سقمي وناراً ثوت قلبي ووسواسي

وختم القصيدة ببراعة الختام مع الاقتباس، فقال:

يسقونه من رحيق والختام له ... مسك ينافس فيه خير انفاس[1]

وهذه القصيدة اللطيفة الرقيقة التي تولد في ذهن السامع سبكًا وذوقًا تتكون من (٧٣) بيتًا، شرحها الجلال شرحًا مستفيضًا، ينم عن مقدرته وكفاءته العلمية والأدبية والبلاغية.

ومما يدل على تعدد أغراض شعره أنه لما قرأ لصلاح بن عبد الخالق بن يحيى حجاف، وقد كان من شعراء عصر الجلال قصيدة يخاطب فيها هرًا (قطًا) أكل عليه الحمام، فقال:

---

(١) ينظر: مقدمة «ضوء النهار» ترجمة الجلال للسياغي (ص١٢)، و«نشر العرف» (٣/ ٧٨-٩٤)، حيث أورد زبارة في هذا الكتاب القصيدة الكاملة.

OBEIKAN.COM

يا هر في غير حفظ الواحد الصمد ... أحثثت سيرك عن دارٍ وعن بلدي
وقد نزلت فأحسنا جوارك لم ... أبخل عليك بما تحويه ذات يدي
رجوت أنك تكفيني أذية ما ... في البيت من جُرَذٍ عاد ومن خلدي

وقال في خاتمتها، وهي طويلة تتكون من (٢١) بيتًا:

بل سوف أنشد تسكينًا لخاطرها ... لله يبقى على الأيام ذو حَيد

فرد عليه الجلال وأجابه بلسان القط:

سمعت عتبك والتأنيب يا سندي ... فهاج لي لوعة أوهى بها جلدي
وصرت أعجب من دعواك أنك لم ... تبخل عليَّ بما تحويه ذات يدي
إذ تلك دعوى ولا برهان يصحبها ... ومثل ذاك لأهل الحق لم يفد

وقال في نهايتها:

بعد السلام عليكم ما غشى جُرذٌ ... ثم الصلاة على الهادي إلى الرشد[1]

من خلال عرضنا السابق لبعض النماذج من شعر الجلال، تبين لنا أن شعره جاء صورة صادقة لحياته الدينية والثقافية والاجتماعية لعصره الذي عاش فيه، ولهذا فقد تنوعت أغراضه الشعرية بين المديح والفخر والغزل والتصوف والزهد، وهذا بلاشك يدل على الموهبة الفذة، وقد شهد له بعض العلماء المعاصرين له وهو العلامة المقبلي، حيث قال: «فأول ما نزلت عنده أراني شرحه فوقفت بأول قدم على البحث المعروف بترتب السمع على العقل، فاعترض السيد المذكور ـ الجلال ـ ونظم الاعتراض لأنه شاعر غير منازع»[2].

---

(١) ينظر: «البدر الطالع» (٢ / ٢٩٠)، «طبق الحلوى» لابن الوزير (١٠٨ - ١١١)، «هجر العلم» (١/ ٤١١-٤١٧).

(٢) ينظر: «العلم الشامخ» (ص٢٤).

OBEIKAN.COM

فالمتمعن والمتأمل لشعر الجلال يجده من الناحية الشكلية متميزاً بجزالة الألفاظ، واستحضار المفردات والكلمات العربية، واختيار ما يناسب المقام مع الإتيان أحيانًا بألفاظ غريبة تحوج القارئ للبحث عنها في قواميس ومعاجم اللغة كما في (فيض الشعاع)، و(السحر الحلال).

وإذا نظرنا إلى المضمون، نلحظ الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الجلال حين يفكر في أمر من الأمور، وما ذلك إلا دليل على عمق تفكيره وشفافية شعوره وإحساسه، فالتجربة الشعرية عند الجلال شخصية واجتماعية وأحيانًا خيالية، والعاطفة مسيطرة في أغلب ما وجدناه من شعره والتلازم في الألفاظ بين جزالتها وسهولتها، وجمال أدائها واضحة، بيد أنك تلحظ المزج في شعره بين السطحية تارة، والعمق تارة أخرى، كل هذا يتضح لنا من خلال قراءتنا لتلك النماذج المعروضة سلفًا.

OBEIKAN.COM

مؤلفات الجلال وآثاره[١]

لقد ترك لنا الجلال ثروة علمية زاخرة جعلته يعيش بآثاره ومؤلفاته المفيدة والنافعة، وجعلت العلماء يولونها اهتمامًا بين جمعها ومطالعتها، والاستفادة منها، وتحقيقها واختصارها وشرحها، ووضع بعض الملاحظات عليها، يقول الشوكاني: «ولي كثير من المناقشات في ترجيحاته التي يحررها في مؤلفاته، ولكن مع اعترافي بعظيم قدره، وطول باعه، وبروزه في جميع أنواع المعارف»[٢].

أولاً ـ الفقه وأصوله:

١ ـ *(ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار في فقه الأئمة الأطهار)*: جعله شرحًا لكتاب الأزهار للإمام أحمد بن يحيى المرتضى (٧٧٥هـ ـ ٨٤٠هـ)، وقد استخرج فيه الأدلة وبناها على القواعد الأصولية، وحرر اجتهاداته على مقتضى الدليل، ولم يعبأ بمن يوافقه من العلماء أو يخالفه، طبع في أربعة مجلدات مع حاشية العلامة محمد بن إسماعيل الأمير المسمى «منحة الغفار»، بسعي من العلامة حسين السياغي نائب رئيس مجلس القضاء الأعلى عام (١٤٠١هـ)، وقد طبع على نفقة مكتبة غمضان لإحياء التراث اليمني ـ صنعاء.

---

(١) اعتمدت في إعداد هذا السرد على «البدر الطالع» (١/ ١٣٤-١٣٥)، «نشر العرف» (٣/ ٣٥-٩٣)، فهرست مخطوطات مكتبة الجامع الكبير ـ صنعاء، إصدار وزارة الأوقاف والإرشاد (١/ ٣٢٢، ٥٠٦، ٢/ ٦٧٩، ٨٠٨، ٣/ ١٣٢، ١٤٤٣، ١٥٣٩، ٤/ ١٧٧٥، ١٨٥١)، مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن لعبد الله الحبيشي (٨٦، ١٢٩، ٣٢١، ٣٣٥، ٣٨٦، ٤٩٩، ٥٠٢) «هجر العلم» (١/ ٣٤٩)، «أعلام المؤلفين الزيدية» (٢٩٩-٣٠٢)، الحسن بن أحمد الجلال (دراسة ونصوص محققة) د/ حسن العمري، والقاضي الجرافي.

(٢) ينظر: «البدر الطالع» (١/ ١٣٥).

وقد تعقب الجلال على كتاب (ضوء النهار) الفقيه حامد بن حسن شاكر بكتاب سماه (ميزان الأنظار في ما بين المنحة وضوء النهار)، وهذا مدح من قبل ابن الأمير ـ رحمه الله ـ على (ضوء النهار)، حيث قال:

إن كنت مسترشداً تريد هدى ... فخذ بنود الدليل من كلمه

وانظر بضوء النهار منتقداً ... تعرف صحيح الكلام من سقمه[1]

٢ ـ *(بلاغ النهى في شرح مختصر النهى)*: لابن الحاجب (مخطوط ١٠٧٧) جامع (١١٠) أصول فقه.

٣ ـ *(نظام الفصول اللؤلؤية)*: شرح كامل على كتاب (الفصول اللؤلؤية) للعلامة إبراهيم بن محمد الوزير (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) (مخطوط) (١٠٧٠) جامع ١١ أخرى (جـ ١٣٢) بنفس المكتبة (١٤٣٠)، ونسخ أخرى مخطوطة منه نسخة رقم (٢٠) أصول فقه المكتبة الغربية، باسم (نظام الفصول اللؤلؤية) في المتحف البريطاني (٢٦٨/ ٥٧٩٩٣)، وثانية خطت عام (١١٤٦هـ) رقم (١٤٣١)، وثالثة خطت عام (١٠٧٠هـ) رقم (٣٣)، ورابعة خطت عام (١٣٣٢هـ) رقم (١٤٣٢)، وخامسة خطت عام (١١٣٦هـ) رقم (١٤٣٨) مكتبة الأوقاف.

٤ ـ *(عصام المتورعين على مزالق المتشرعين)*: (مخطوط) متحف (٣٧٥٧) نسختان في المكتبة الغربية برقم (١٨)

٥ ـ *(التحلية والتذهيب)*: (مخطوط) فرغ منه (١٠٤٥هـ)، منه نسخة خ سنة (١٤٠٨هـ) رقم (٢٢٨١) أوقاف.

٦ ـ *(الحواشي المفيدة بعقول اللآلئ النضيدة)*: (مخطوط) برقم (١٣٢) غربية ورقة (٢٤٤-٣١٢).

---

(١) «مقدمة ضوء النهار» (١/ ١٤).

٧ ـ *(حاشية الجلال على المرقاة)*: مصورة في مكتبة السيد محمد عبد العظيم الهادي (مخطوط) بمكتبة آل الهاشمي نسخة سنة (١١٤٢هـ) ضمن مجموعة (١٧٤).

٨ ـ *(شرح مقدمة البحر الزخار)*.

٩ ـ *(رسالة حول أرجوزة الطراز المذهب)*: للسحولي، أوردها صاحب مساجد صنعاء برقم (٥٦ ٠ ٥٨).

١٠ ـ *(رسالة إلى الإمام المتوكل)*: بسبب امرأة شكت إليه في جامع الغربية (٧٥) مجاميع.

١١ ـ *(رسالة في زكاة بني هاشم)*: (مخطوط) بخط محمد الأمير، توجد بمكتبة آل الوزير، ومكتبة الأخ محمد عبد الخالق الأمير.

١٢ ـ *(رسالة تتعلق في الرضاع)*: (مخطوط) توجد بمكتبة محمد عبد الخالق الأمير، بخط العلامة محمد بن إسماعيل الأمير.

١٣ ـ *(رسالة في عدم وجوب الجمعة على من لم يسمع النداء، وفي ظن وجوبها على من سمعه مع كمال شروطها وجوبًا معينًا)*: طبعت ضمن (دراسة ونصوص محققة للجلال)، وهي عبارة عن بحث صلاة الجمعة ضمن مجاميع (٥٧، ١٧، ٢٥٩) غربية.

١٤ ـ *(رسالة في الدخول في صوم رمضان)*: (مخطوط) بخط محمد بن إسماعيل الأمير.

١٥ ـ *(رسالة عن تقرير البانيان (الهنود)، وأهل الذمة في اليمن)*: وكانت عبارة عن جواب لسؤال عن تقرير البانيان في اليمن، وما يجوز من ذلك، وما لا يجوز، فاعلم؛ وقد فصل من دون إسهاب في حكم التعامل معهم، وأخذ الجزية منهم، وأقوال العلماء في ذلك.

OBEIKAN.COM

١٦ ـ *(رسالة في عدم وجوب الخمس في الحطب)*: وأصل هذه الرسالة إجابة لسؤال.

١٧ ـ *(بحث في قبة وُضعت في مقبرة)*: (مخطوط) جامع الغربية (٣) مجاميع.

١٨ ـ *(عدم وجوب الخمس في الصلاة)*: ضمن مجموع (١٨٧) غربية، وهي بعنوان (مسألة في عدم وجوب الخمس في الصلاة) نسخة ضمن مجموع مكتبة سراج الدين عدلان.

١٩ ـ *(رسالة الجلال المهمة)*: للإمام المتوكل على الله إسماعيل، والموسومة بـ «براءة الذمة في نصيحة الأئمة»، وقد وجهها إلى معاصره الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بعد توحيده بلاد اليمن شمالها وجنوبها، ينتقد فيها المؤلف بعض ما يقوم به عمال الإمام في إدارتهم البلاد من تدابير لا يقر بعضها الشرع.

في علم العقيدة (الكلام والفلسفة):

٢٠ ـ *(العصمة عن الضلال)*: عقيدة السيد الحسن الجلال، وهذه الرسالة تحتوي على أصول العقائد من التوحيد إلى الحكمة والعدل، ومن النبوة إلى الإمامة، وفي الإيمان والإسلام والكفر.

وقد علق تعليقًا وجيزًا على العصمة عن الضلال العلامة عبد الرحمن حسين شايم، ولابن الأمير مناقشات جليلة لآراء الجلال في هذا الكتاب سنة (١٣٤٨هـ)، طبعت مؤخراً مع مجموعة من كتب المترجم له بعنوان (دراسة ونصوص محققة للجلال) د/ العمري.

٢١ ـ *(فيض الشعاع الكاشف للقناع عن اركان الابتداع)*: بين في هذا السفر الرائع أن ظهور البدع في دين الله إنما ظهر بسبب غربة الدين عن أهله، وقد تطرق إلى

المحكم والمتشابه، وقضية الجدال ،وغيرها من المواضيع، وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٨هـ)، وطبع أيضًا ضمن (دراسة ونصوص محققة للجلال) د/ العمري، وهذه الرسالة في أصلها شرح محكم لبديعيته الشعرية المطولة التي سماها «فيض الشعاع».

٢٢ ـ *(حاشية على شرح القلائد في تصحيح العقائد)*: للمهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م) نسخت منه خمس نسخ بأرقام (١٣٤، ٤٤، ٤٣، ٤٢) علم الكلام (١١٧) مجاميع المكتبة الغربية، وأخرى باسم (النكت الفرائد بشرح مقدمة القلائد) نسخت سنة (١١٧٢هـ) رقم (٩٥) مكتبة آل الهاشمي، وأخرى نفس المكتبة باسم حاشية القلائد نسخت سنة (١١٤٠هـ) (مخطوط).

٢٣ ـ *(بحث في الصفات)*: نسخة جامع المكتبة الغربية (٣٧) مجاميع (مخطوط).

٢٤ ـ *(رسالة في التحسين والتقبيح)*: نسخة العبيكان (١٩٩).

أدب البحث والمناظرة:

٢٥ ـ *(الروض الناضر في آداب المناظر)*: نسخة جامع الغربية (٧٣) مجاميع أخرى بنفس المكتبة (٣٠) مجاميع ثالثة، بمكتبة حسين السياغي، ومصورة بدار الكتب المصرية (٢١٥٩).

المنطق:

٢٦ ـ *(شرح التهذيب)*: في المنطق لسعد الدين التفتازاني مع الحاشية، ألفه في بلدة (يفرس) في جبل حبشي من أعمال تعز، وقد أشرف على طبعه مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء، عام (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

OBEIKAN.COM

التفسير:

٢٧ ـ *(حاشية الكشاف)*: (منح الألطاف في تكميل حاشية السعد (التفتازاني) على الكشاف للزمخشري (١٠٩٥) في (٤١٠ق) جامع (٧١) تفسير (مخطوط) منه نسخة رقم (٤٤) تفسير المكتبة الغربية صنعاء، وأخرى نسخت بمكتبة آل الهاشمية ١٧٧، وأخرى نسخت بمكتبة آل الغلبي نسخة مصورة منها بمكتبة السيد محمد بن عبد العظيم الهادي.

السيرة:

٢٨ ـ *(مختصر سيرة الرسول ﷺ)*: منه نسخة خطية في مجموعة ٦٨، مكتبة الأوقاف، وتوجد نسخة مخطوطة في مكتبة القاضي حسين السياغي.

في التزكية (التصوف):

٢٩ ـ *(تلقيح الأفهام شرح تكملة الأحكام)*: للمهدي أحمد بن يحيى المرتضى، وقد طبع ضمن (دراسة ونصوص محققة للجلال) د/ العمري.

النحو والأدب:

٣٠ ـ *(الإعراب في تيسير الإعراب)*: وهو كتابنا الذي نقوم بتحقيقه، منه نسختان رقم (١٤٣٢) (١٧٥٦) بمكتبة الأوقاف، وثالثة برقم (٧٤). مجاميع المكتبة الغربية الجامع الكبير.

٣١ ـ *(المواهب الوافية بمراد طالب الكافية)*: شرح كافية ابن الحاجب وتسمى «العقود الوافية بنظم معاني الكافية»، نسخت عام (١٠٧٧هـ)، جامع (٥٥) مخطوط برقم (١٧٧٤) مكتبة الأوقاف.

٣٢ ـ *(شرح الرسالة الوضعية)*: لعضد الدين الإيجي (مخطوط) جمع الغربية (٦٥) مجاميع.

OBEIKAN.COM

٣٣ ـ *(قصيدة السحر الحلال في علم البديع)*.

٣٤ ـ *(شرح السحر الحلال لبديعية الجلال)*: وهي شرح للأولى.

٣٥ ـ *(نظم كليلة ودمنة)*: قال الحبشي: نسخت عام (١٠٦٩هـ)، بالمتحف البريطاني (٣٦٢٦) في (١١١) ورقة.

اهتمام العلماء بمؤلفات الجلال:

لقد اهتم العلماء بتراث الجلال، وما تركه من درر علمية وبحوث قيمة جعلت العلماء يقبلون عليها، ويشرحونها ويختصرونها وأحيانًا يردون على بعض المسائل العلمية كعادة العلماء، لهذا حظيت كتب الجلال بالعناية والاقتناء قديمًا، ولم تحظ إلى الآن ـ حسب علمي ـ بطبعها وتحقيقها، كما حظيت كتب الشوكاني وابن الأمير وابن الوزير والمقبلي مع أن الجلال يعد في رتبة هؤلاء، فممن شغف بكتب الجلال ومؤلفاته السيد محمد بن إسماعيل الأمير الذي جمع أغلب مؤلفاته، وكان له بمطالعتها غرام وتعقيب في أبحاث من أمهات ما تفرد به ـ رحمه الله ـ[(١)].

ومنهم: هاشم بن يحيى بن محمد بن أحمد الشامي، له كتاب اسمه (صيانة العقائد، حاشية على شرح الفلائد)، في أصول الدين للنجري تعقب فيها على كثير من أبحاث الحسن بن أحمد الجلال ومال إلى تقرير المسائل عن مذهب السلف[(٢)].

وممن رد عليه في مسألة زكاة أهل البيت (أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وهو عالم مبرز في الفقه والفرائض والعربية مغاليًا في التشيع)[(٣)]، وكذلك (أحمد بن عبد الله بن حنش) وقد رد على الجلال برسالة سماها «حل الإشكال ودامغ الأبطال»[(٤)]، وكانت هذه الرسالة ردًا على رسالة الحسن بن أحمد الجلال (براءة الذمة في نصيحة الأئمة).

---

(١) ينظر: «مقدمة ضوء النهار» (١/ ١٣).
(٢) ينظر: «هجر العلم» (١/ ٣١٧).
(٣) ينظر: «هجر العلم» (١/ ٣١٧).
(٤) ينظر: «هجر العلم» (١/ ٥٦٢).

OBEIKAN.COM

ومنهم: (الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ، وهو عالم محقق في الفقه والفرائض وغيرهما، رد على الجلال بكتاب سماه (اقتباس الأنوار لجلاء الأنظار بمذكرات الأخيار)[١].

* وممن اهتم بكتبه ومؤلفاته: إبراهيم بن خالد بن أحمد بن قاسم العلفي (وهو عالم مجتهد كان يعارض باجتهاده أنظار أكابر علماء عصره)[٢]، فقد رد برسالة على مسألة الجمع بين الصلاتين للحسن بن الجلال.

وحفيد الجلال الفضيل بن محمد بن الحسن الجلال (وكان عالمًا له معرفة تامة بالأدب وقرض الشعر)[٣] شرح بعض مؤلفات جده.

وممن شرح بعض كتبه الحسين بن أحمد السياغي (١١٨٠هـ - ١٢٢١هـ)، وهو عالم مبرز في علوم العربية والفقه والحديث، شرح الروض الناضر للجلال، وسماه «المزن الماطر على الروض الناظر في آداب المناظر»[٤].

وممن اختصر بعض كتبه (إسماعيل بن أحمد بن أحمد الجرافي) اختصر كتاب السيرة للجلال، وسماه (مختصر سيرة الرسول ﷺ) للحسن بن أحمد الجلال[٥].

ومن المعجبين بالجلال وآرائه، وتحرره من قيود التقليد (ثابت بن سعد الدين بهران)، وهو عالم محقق في علوم الحديث، له معرفة تامة بعلوم العربية، ولا سيما اللغة، عكف على دراسة كتب الجلال[٦].

---

(١) ينظر: «هجر العلم» (٢/ ٧٤٧).
(٢) ينظر: «هجر العلم» (٢/ ١٠٣٢).
(٣) ينظر: «هجر العلم» (٣/ ١٤٤٧).
(٤) ينظر: «هجر العلم» (٣/ ١٥٣٠).
(٥) ينظر: «هجر العلم» (١/ ٣٧٠).
(٦) ينظر: «هجر العلم» (١/ ١٢٣).

OBEIKAN.COM

الوقفة الأخيرة مع الجلال

لابد لكل عالم وهو يخوض معترك المعارف والعلوم من نقدة ومعارضين له في حياته العلمية، لاسيما إذا كانت لهذا المنقود صولات وجولات فكرية واجتهادات مخالفة لما عليه الآخرون خاصة إذا رد على هؤلاء النقدة وخطأهم، فلاشك أنه سيحسب له حسابًا في كلامه وأقواله، فقد يتأول كلامه ويفهم غير فهم صاحبه، ولربما في بعض الأحيان يصل بأصحاب الجمود والتمذهب إلى التقول عليه، وهذا ما عليه أصحاب المذاهب والمتعصبون قديمًا وحديثًا، ولم يسلم الجلال من ذلك مع قولنا أنه بشر يخطئ ويصيب، ويجهل ويعلم، والكمال لله والعصمة لأنبيائه، وقد نقل بعض علماء عصره ـ ممن خالفهم في المذهب وحاد عنه وركب جواد الاجتهاد لأهليته لذلك، وخلع عن عاتقه التقليد ـ مسائل ومخالفات لا تليق بالمترجم له كونه من أهل العلم العارفين، من ذلك ما نقله يحيى بن الحسين بن القاسم في كتابه (بهجة الزمن)، حيث قال في ترجمته: «وكان يدعي الاجتهاد، وأنه ترجح له مذهب داود الظاهري»[1].

ويعول عليه في أقواله في الأصول والفروع، ويقول: إن الإجماع ليس بحجة، ويقول بالمتعة موافقة للرافضة الإمامية، ولا يحتج بالآحاد موافقة للقاشاني، وإن صح بالإسناد، ولا يحتج إلا بالمتواتر، وما لم يجده فبالبراءة الأصلية، وقال إنه رأى ابن حزم في العمل بالبراءة، وله أقوال عجيبة ونوادر

---

(١) **داود الظاهري**: هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني، كان يلقب بالظاهري، توفي عام (٢٧٠هـ/ ٨٨٤م)، يعتبر أحد الأئمة المجتهدين، تنسب إليه الطائفة الظاهرية حيث يقوم هذا المذهب على الأخذ بظاهر الكتاب والسنة ويعرض عن التأويل والرأي والقياس، ومنها سميت به، ولهم رأي في حجية الإجماع. ينظر: ابن حزم «إحكام الأحكام» (٤/ ١٤٢-١٥٠)، دار الكتاب العربي.

غريبة، فيها ركة وإباحة، ومخالفة لجمهور الأمة للإجماعات المنبرية، فلا قوة إلا بالله، ولو توقف على مذهب داود نفسه لكان أقل من تلك النوادر والمخالفات، لكنه خرج عن أصل داود في موافقة الرافضة في المتعة وفي سب عثمان رضي الله عنه، وفي موافقة الخوارج في منصب الإمامة، فقال: إنها في جميع الناس عربي وعجمي، فيها على سواء، وإنما يُشترط فيهم التقوى، وكان يرى في خلق الأفعال مثل قول أهل السنة ـ انظر أهل السنة ـ، وثبوت الخروج لأهل الكبائر من النار بالشفاعة والرؤية، وكان لا يكفر بالإلزام، كما يقول به محققوا علماء الإسلام، قال السيد ما لفظه: «إلزام الجبر مع عدم صحة نقله عن المرمي به تواترًا مما لا يجوز أن ينبني عليه حكم ظني فضلاً عن قتال واستباحة النفوس والأموال؛ لأن الجبر لا يعرفه مدققوا علمائهم (مدعيًا أن ذا وهم عن الاعتزال قائم البرهان)، ولا قائل بتكفير الأشاعرة لقولهم بالكسب ولا يكفر أهل الكسب فيما يعلم إلا مجازف لا يعرف العلم، ولا أهله؛ لأن الكسب هو الفعل الذي يقول به المعتزلة، وإنما الخلاف للعبارة بعد التحقيق . . إلى آخر ما ذكره في بعض رسائله[1].

* وقد تابع يحيى بن الحسين في ذلك عبد الله بن علي الوزير، حيث قال: «وفيها نسب إلى السيد الإمام الحسن بن أحمد الجلال الجنوح إلى شيء من مذهب الظاهرية، وطريقة ابن حزم[2]، من العمل بالبراءة الأصلية وإسقاط

---

(١) «بهجة الزمن» المسمى «يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر» للمؤرخ يحيى بن الحسن القاسم، تحقيق عبد الله الحبشي (ص٢٢٣)، منشورات المجمع الثقافي ـ أبو ظبي ـ الإمارات.

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن همدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ولد بقرطبة في سنة (٣٨٤هـ)، تفقه على مذهب الإمام الشافعي، ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليه وخفيه، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والسنة، والقول بالبراءة الأصلية، وصنف في ذلك كتبًا كثيرة، ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ١٨٤) دار الكتاب العربي.

الاحتجاج بالأخبار الأحادية، وقصر التعويل على التواترية، وإنكار حجية العموم، ودليل المفهوم وتحليل المتعة، وإسقاط الأذكار في الصلاة، والاعتدال والقول بأن الإمامة لا منصب لها معين، وعدم وجوب الجمعة إلا بوجود الإمام الأعظم وغير ذلك، والله أعلم بحقيقة هذه النسبة، فقد أطرق صاحبها فيما لا يكون في كثير من النسب[(١)].

ولا يستطيع المرء أن يقول أمام هذا الكلام المنسوب إلى الجلال إلا كما قال المعلمي اليماني: «والحكم على العلماء والرواة يحتاج إلى نظر وتدبر وتثبت أشد ما يحتاج إلى الحكم في كثير من الخصومات، فالحكم على العالم والراوي يخشى من تفويت علم كثير»[(٢)].

على الرغم من أن طبيعة الإنسان يعتريها الخطأ، كما قال سعيد بن المسيب: «ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله»[(٣)].

إلا أنك تجد ما ادعاه يحيى بن الحسين وتابعه عبد الله بن علي الوزير لم يكن صحيحًا، وقد قرأت عدة كتب للمؤلف، وخاصة ضوء النهار فوجدت خلاف ما نسب إليه، ولعل الجلال تجاوز المذهبية والتعصب، وأصبح مجتهدًا، له ترجيحات وتحريرات بريئة من العصبية والتقليد، فاتهم بأنه ظاهري وأنه ينكر حجية الإجماع، ويبيح المتعة وغيرها، و(ضوء النهار) شاهد على ذلك[(٤)]، وقد

---

(١) «اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع الميلادي» المسمى «طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى» (ص١٤٢-١٢٥) دار المسير ـ بيروت.

(٢) ينظر: «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» لعبد الرحمن المعلمي العتمي اليماني (١/ ٥٣)، دار الكتب السلفية ـ القاهرة.

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٨٢١) دار ابن الجوزي ـ الدمام.

(٤) ينظر: «ضوء النهار ـ كتاب النكاح» (٢/ ٧٥٣-٧٥٤).

راجعتُ في هذه المسائل العلامة المؤرخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، والعلامة المفتي محمد الجرافي فنفيا ما نسب إلى المترجَم له.

وقد انبرى لهذه الاتهامات الدكتور حسين العمري والقاضي محمد بن أحمد الجرافي في كتابيهما الحسن بن أحمد الجلال حياته وآثاره (دراسة ونصوص محققة)، حيث فندا ما نسب إلى الجلال، وردا هذه المزاعم الباطلة، وأثبتا بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة هزالة ما قيل فيه، بل وضحا في هذا الكتاب عكس ما نسب إليه تمامًا، وقد استطردا القول، ودللا على ذلك بنقولات من كتب الجلال تثبت أن ما نسب إليه غير صحيح[١].

ويرحم الله الإمام الذهبي حين قال: «كلام الأقران بعضه في بعض لا يعبأ به لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس»[٢].

وقال أيضًا: «كلام الأقران يطوى ولا يروى، فإن ذكر تأمله المحدث، فإن وجد له متابعًا، وإلا أعرض عنه»[٣].

وأحسب أن الجلال مع يحيى بن الحسين وابن الوزير من هذا القبيل حيث يقول الجلال لأحد تلامذته الذين سألوه عن سبب العداوة التي يحملها بعض علماء عصره، فرد قائلا: «يا ولدي أنا حذوت حذو محمد بن إبراهيم الوزير فعاداني أهل الوقت، وأخي الهادي حذا حذو الهادي بن إبراهيم الوزير فأخذ عنهم وأخذوا عنه»[٤].

---

(١) ينظر: «دراسة ونصوص محققة» للعلامة الجلال من (ص٥٥-٨٤).

(٢) «ميزان الاعتدال» (١/ ١١١)، دار الكتب ـ بيروت.

(٣) «ميزان الاعتدال» (٤/ ٢، ٣٠٤/ ٢٠٢).

(٤) ينظر: «هجر العلم» (١/ ٣٤٣).